واجبنا الاقتصادى
فى الحالة الحاضرة

لحضرة صاحب العزة عبد الرحمن فهمى بك

إزاء ما تجتازه البلاد من غلاء الأسعار وجشع التجار ، كان لزاما على كل مفكر أن يعمل جهد استطاعته فى حفظ مستوى المعيشة الاقتصادى فى حالة تسمح للفقير وللموظف الصغير أن يعيشا فى يسر . وليس هناك من دواء ناجع ومن طريقة ناجحة إلا التعاون كما قال الأستاذ " شارل جيد " وهو من أكبر علماء الاقتصاد فى فرنسا : " ليس ثمت وسيلة طريقة ناجحة لا يتسرب اليها الشك فى حفظ أسعار المواد الغذائية غير انتشار الجمعيات التعاونية ، وكل طريقة خلافها مقضى عليها بالفشل ، خصوصا فى زمن الحرب " .

لذلك ، وأمام هذه الظروف العصيبة ، فكرنا فى حماية المستهلكين بمدينة القاهرة ، بإنشاء جمعية تعاونية عامة تقوم بشراء لوازم سكان المدينة من المواد الغذائية وغيرها لتبيعها إليهم ولا يخفى ما لهذا المشروع من أثر محمود فى تحديد السعر وجودة البضاعة واستيفاء المكيال والميزان .

نضيف إلى هذا أن المستهلك وهو البائع والشارى ، يجنى كل الفوائد التى كان يربحها الوسيط ، لأن للمستهلك فائدتين تعودان عليه : فائدة على رأس ماله باعتباره التاجر نفسه وصاحب رأس المال ، والباقى من الربح يوزع بنسبة مشتريات الأعضاء ، كل على قدر مشتراه ، ويسمى " العائد " ، وهذا ما انفرد به التعاون دون النظم الاقتصادية الاخرى ، لأن هذه الأرباح كانت تضيع بين الوسطاء من السماسرة والمرابين ، ولا غرو إذا ما عرف التعاون فى كلمتين وهما (حذف الوسيط) .

ولا يخفى أن للتعاون جانبا معنويا لا يقل فائدة عن الجانب الاقتصادى وهو :

١ — أن الأعضاء حملة الأسهم متساوون فى الأصوات ، أى أن صاحب الأسهم القليلة كصاحب الأسهم الكثيرة ، كلاهما له صوت واحد ، وهذا هو الجانب الديمقراطى .

٢ — كل عضو له حق الترشح لعضوية مجلس الإدارة أو أية لجنة أخرى من اللجان الإدارية إذا آنس فى نفسه الكفاية ، فلا يحول بينه وبين الترشيح مال أو نسب أو دين .

٣ — أن يتعود الأعضاء شراء بضاعتهم بالنقد فيضمنوا موازنة مصروفاتهم بمواردهم ويقيهم ذلك شر الدين الذى هو همّ بالليل وذل بالنهار .

٤ — باب العضوية مفتوح لكل فرد يتوفر فيه حسن الخلق .

٥ — أن هذه الجمعيات لا دخل لها فى الشئون السياسية أو المسائل الدينية ، أى أن كل عضو حر فى عقيدته ، ولا يجوز أن تكون ساحة الجمعيات التعاونية مباحة لإثارة المشاحنات الحزبية أو المناقشات الدينية .

٦ — أن رأس مال هذه الجمعيات لا يقف عند حدّ محدود ، وبناء على ذلك لايقف عدد الأعضاء عند حدّ محدود .

٧ — أن يخصص جزء من الربح للإصلاح الاجتماعى .

* * *

هذه هى المبادئ الرئيسية التى يقوم عليها مشروع جمعية التعاون المنزلى لمدينة القاهرة ، وعلى هذه المبادئ نفسها قامت أولى الجمعيات التعاونية فى انجلترا فى مدينة "روتشديل" بالقرب من مانشستر بانجلترا ، فقد أسسها سنة ١٨٤٤ ثمانية وعشرون عضوا برأس مال قدره ٢٨ جنيها . وها هى الأيام تثبت قوة دعائمها وصحة المبادئ التى قامت عليها وأتت بثمار غير منظرة وفوائد جمة . واليوم مضى عليها مائة سنة إلا أربع سنوات ، وأصبح رأس مال الجمعيات التى تكونت على غرارها فى انجلترا يزيد على (١٨٣ مليون جنيه) وعدد الأعضاء يزيد على ثمانية ملايين . واذا فرضنا أن كل عضو يمثل خمسة أعضاء فى أسرته فيكون أكثر من ثمانين فى المائة من الشعب البريطانى يتعاون عمليا .

من هذا نرى أن التعاون أصبح وضعا من أوضاع المدنية الغربية الحديثة ، ومن أقوى دعائم الاقتصاد فى تموين الشعب وحفظ مستواه فى زمن السلم والحرب ، حتى قال فيه السياسى الكبير المستر "لويد جورج" : "كان للجمعيات التعاونية الأثر الأكبر فى تموين الشعب البريطانى و إمداده بأهم حاجاته فى مدة الحرب الكبرى ، ولقد قامت بتلك المهمة خير قيام حين عجزت جميع الهيئات الأخرى عن ذلك" .

* * *

وليست الحركة التعاونية والدعوة إليها وتأسيس جمعياتها حركة خيرية ، بل هى حركة اقتصادية عميمة النفع على كل فرد يساهم فيها ، وهى كما قال أحد أساطين التعاون الأستاذ "هوليوك" :

"ما كانت الحركة التعاونية استجداء أو عملا خيريا يقوم به القادرون لمساعدة المحتاجين، وإنما هى حركة اعتماد على النفس لضمان تحقيق مصالح الفرد والمجموع معا ، فيها للضعيف ما للقوى من الحقوق" .

وكما قال الأستاذ "فاى" : "إن التعاون هو اتحاد بين البشر أكثر من أن يكون اتحادا بين رءوس الأموال" .

وقد سبقت دعوة القرآن الكريم كل دعوة فى سبيل تحقيق المنافع العامة والخير الشامل فقالى تعالى : "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" ، والتعاون عندنا هو أساس البر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه" ، ومن الأقوال المأثورة : "ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط" .

ولا يغيب عن الأذهان أن التعاون هو نظام شعبي يجب أن يقوم بتحقيقه أفراد الشعب، يرعونه بأنفسهم ويحرصون عليه وعلى إنجاحه بكل ما فى وسعهم .

وإذا كنا وجهنا الدعوة إلى حضرات الموظفين وطلبنا معونة الحكومة فى نشر الدعوة ، فلأننا نعتبر أفرادها أعضاء من جسم الشعب الذى اختارهم لخدمته ، وأن واجبهم الأول بصفتهم أبناء لهذا الشعب الكريم أن يساهموا فى كل عمل يعود عليه بالنفع ، وأن جمعيات التعاون هى خير ما يشجع من الجميع . ولنذكر هنا كلمة الأستاذ الفاضل الدكتور ابراهيم رشاد بك :

"على الأمة أن تعاوننا إلى أن تزول عن التعاون الصبغة الحكومية ، وذلك بإدراك التعاون وتقدير رسالته وأثره فى النهضة والتقدم . وما دامت الحركة منها ولها فإن اشراف الحكومة عليها لا يخلى الأمة من الواجبات نحوها فى الحاضر والمستقبل" .

وإنى أختم كلمتى بالشعار الخالد الذى اتخذه التعاون ميزة له ، وهو أن يعيش الفرد للمجموع كما يعيش المجموع للفرد، ويد الله مع الجماعة ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

عبد الرحمن فهمى